الآثار الصحية للإيذاء المعنوي وحكمه في الفقه الإسلامي

■ أ.علي موسى سالم أبو حرق *

● تاريخ استلام البحث 2021/05/03م ● تاريخ قبول البحث 2021/06/10م

■ **الملخص:**

يتناول هذا البحث الإيذاء المعنوي.. لا بكونه إيذاء معنوياً مع عِظَم شأنه، فقد يمتد هذا الأَثر إلى أضرار صحية خطيرة .. تارةً تكون نفسية، وأخرى عضَوية، ولا تختلف هذه الجرائم عن غيرها من الجرائم من حيث عدَّها جريمةً نظراً للتقارب الشديد بين الآثار المترتبة على كليهما، وإنما الخلاف بينهما يكمن في أداة الجريمة، ثم إن الشريعة الإسلامية لم تحدد للإيذاء المعنوي عقوبة حدَّية.. بل جعلت له عقوبات تعزيرية يحددها ويختارها القاضي بما يراه مناسباً لحال الجاني، وفعله الضآر.. مراعياً القواعد الشرعية العامَّة، ومناسباً للردع والتأديب.

● **الكلمات المفتاحية: الأثر الصحي، الإيذاء المعنوي، المعنوية، التعزير.**

Abstract:

Moral abuse can be defined as victimization. It is the situation which an imperceptible tool is used, but, there is harm in it. As the perpetrator and victim are present in it. These crimes are not different from other crimes in terms of being considered a crime due to the close proximity between the effects of both. Thus, the difference between these two types of crime lies in the instrument of the crime. The Islamic Sharre"ha (law) does not specify a punishment for moral harms. Rather, it made a punishment for the rulers to choose what they deem appropriate for discouragement and discipline.

Key words: Health Impact - moral abuse - morale - rePrimanding.

*محاضر مساعد بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الجفرة Email: ali188393@gmail.com

■ المقدمة :

فقد كفلت الشَّريعة الإسلامية سلامة الإنسان في شخصه وماله وعرضه وهذا من مقاصدها وما جاءت به من جَلْبٍ المصالح ودَرَّءٍ للمفاسد، وحالت دون التعدي على الأفراد سواء بإزهاق النفس التي حرم اللّه قتلها إلا بالحق أو ما دون النفس من تعذيبه، أو إيذائه أو ترويعه .... وما نراه اليوم من إيذاء للغير وإيلامهم بشتى الصور من بعض الناس، وأخص بالذكر الإيذاء المعنوي .. هو أمر حذَّرت منه الشّريعة الإسلامية حيث قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴾[1]

فالإيذاء المعنوي ولو من قبيل المزاح قد يؤدي إلى آثار صحية خطيرة، ونتائج لا تحمد عقباها، كزوال العقل أو ما يقع على ذات الشخص، ومنها ما يقع على عرضه أو سمعته، وغير ذلك من صور الإيذاء المعنوي.

فمن هنا كانت الحاجة الواجبة لبيان وإيضاح الرؤية الشرعية للإيذاء المعنوي، وما ينتج عنه من آثار صحية تُوقِعُ نفس الضرر الذي تحدثه الجريمة المادية، وبيان العقوبة اللازمة له.

■ مشكلة البحث:

الإيذاء المعنوي لابد من معرفة حقيقته وصوره من حيث الأثر الصحي المترتب عليه لما يقع فيه الجاني من إضرار غيره وإيذائهم .. فكان لابد من وضع عقوبات زاجرة تحدُّ من مثل هذه الأفعال حماية للأصول الخمسة التي جاءت الشريعة الإسلامية لحفظها.

■ أهمية الموضوع:

تظهر أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية :

1 - يتعلق بسلامة الفرد والجماعة وأمنهم .

2 - معرفة الآثار الصحية المترتبة على وقوعه .

3 - بيان الرؤية الشرعية له ،و العقوبة الرادعة.

4 - إن الوقوف على هذا الموضوع وإفراده بالدراسة .. يُعَرِّف العاملين في الحقل الدعوي ودورهم في الحثُّ على الالتزام بأخلاقيات المسلم وحقوقه.

■ **أسباب الاختيار:**

لعلَّ أهم سبب من وراء اختيار هذا الموضوع في أنه يبين للناس حكم أمر يجهله كثير من الناس ويمارسونه ويظنون أنه هين، وأنه لا حرج فيه إذا كان على سبيل المزاح، ناهيك عمن يُقدمون عليه بقصد الإيذاء...

وهم بذلك استوجبوا غضب اللّه، وحقت عليهم عقوبات ؛ نكالاً بما فعلوا .. لذلك أراد الباحث أن يميط اللثام عن خطر هذا الأمر...

■ **أهداف البحث:**

1 - المساهمة إيجابياً في هذا الموضوع من خلال التأصيل الشرعي له، والعمل على إبرازه ؛ ليولي مزيداً من البحث، وإكمال دراسته على نطاق مؤسسات الدولة والمجتمع.

2 - المساهمة في إثراء المكتبة العربية الإسلامية.

■ **الدِّراسات السّابقة :**

رغم أهمية الموضوع وخطورته إلا أنني حسب اطلاعي لم أقف على دراسة علمية متخصصة تناولت هذا الموضوع دراسة علمية، موضوعية، منهجية تناولته تناولاً شاملاً على سبيل الآثار الصحية للإيذاء المعنوي وحكمه في الفقه الإسلامي، ولكن هناك بعض الدراسات تحدثت عنه بشكل جزئي، فكانت بداية الطريق لاختياري لهذا الموضوع وأفدتُّ منها إفادة جيدة..

- الاغتيال المعنوي للشخصية وفق رؤية شرعية: اسمهان سالم علي، كلية القانون – جامعة طرابلس – مجلة القرطاس، العدد: التاسع فبراير 2020م.
- رسالة ماجستير بعنوان: جرائم التخويف في الفقه الإسلامي ،كفاية فهمي، الجامعة الإسلامية – كلية الشريعة والقانون بغزة:2009م

■ **خطة البحث :**

يتكون هذا البحث من ملخص ومقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة تضمنت النتائج والتوصيات .. وقد قُسم على النحو الآي :

- **المبحثُ الأول:** السُخْرِيَّة والاسْتِهْزَاءُ وأثرهما الصحي، في الفقه الإسلامي.
- **المبحثُ الثاني:** الترويع وأثرة الصحي، وحكمه في الفقه الإسلامي.
- **المبحثُ الثالث:** السَّبُّ والشَّتْم وأثرهما الصحي، وحكمه في الفقه الإسلامي.

■ منهج البحث:

اتَّبعتُ المنهج الوصفي التحليلي، والذي أُقْتُصرَ البحثُ من خلاله على بعضٍ من أنواع الإيذاء المعنوي بوصفه ظاهرة اجتماعية تحتاج إلى توصيفٍ وتحليل.. من حيث صوره والأثر الصحي الناتج عنه، وحكمه في الشريعة الإسلامية ؛ حتى يتسنى بذلك دراستها بطريقة منهجية وإيجاد الحكم الشرعي لها.

● الأثر لغةً:

أثر: الأثر: بقية الشيء، والجمع آثار، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء[7] وله ثلاثة أصول: «تقديم الشيء»: يقال: أثرت بأن أفعل كذا، معناه: أفعله أول كل شيء، ومنه الإيثار[8] .«ذكر الشيء»: يقال: أثرت الحديث أثراً، من باب قولك نقلته، والأثر اسم منه، وحديث مأثور أي: منقول[9] .

● صور الإيذاء المعنوي :

الإيذاء تتعدد صوره .. فتارة ما يقع على ذات الشخص، وتارة ما يقع على عرضه وسمعته، وأخرى على مناط تكليفيه ألا وهو العقل، وغير ذلك من الصور الآتي ذكرها..

● المبحث الأول: السُخْرِيَّة والاسْتِهْزَاءُ وأثرهما الصحي، في الفقه الإسلامي.

أ - السُخْرِيَّة والاسْتِهْزَاءُ:

السُخْرِيَّة في اللغة :

مصدر سخر سخراً وسخرية وسخريُّة: الهزء، وسخر منه وبه: هزئ به[10]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ ﴾[11]: لا يهزأ، وسخرت منه: إذا هزئت به[12].

السُخْرِيَّة في الاصطلاح:

احتقار واستذلال وازدراء العقل[13] ومنهم من عرَّفها بالاستهزاء[14].

الاسْتِهْزَاءُ في اللغة :

مصدر هزأ والهزأ والهزؤ: السخرية يقال هزئ به تهزأ واستهزأ: إذا سخر، وهزئت به أهزأ: سخرت منه[15].

الاسْتِهْزَاءُ في الاصطلاح:

كل ما يجري مجرى العبث وإن لم يكن له سبب [16]، أو يمكن تعريفه بأنه: استخفاف ومزح في خفة ومنه قوله تعالى ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوا﴾[17]

الفرق بين السُخْريَّة والاسْتِهْزَاءُ:

السخر: يدل على فعل يسبق من المسخور منه، بينما الاستهزاء: يستهزأ بالإنسان من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به، ودليل ذلك: أنك تقول: استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء، والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول سخرت منه: يقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، فضلاً على أنه يجوز أن يقال أصلاً سخرت منه: التسخير هو تذليل الشيء وجعلك إياه منقاداً وتدخل من للتبعيض ؛ لأنك لم تسخره كما تسخر الدابة وغيرها، وإنما خدعته عن بعض عقله، بينما الهزأ يجري مجرى العبث ولهذا أجاز هزأت مثل عبثت فلا يقتضي معنى التسخير فالفرق بينهما بين[18] .

صورة السُخْريَّة والاسْتِهْزَاءُ:

سواء كانت من ذات الشخص أو من عائلته أو من حسبه ونسبه أو مكانته أو من دينه أو من عمله أو من علمه أو غير ذلك مما يصيب المرء من ورائه الاحتقار والإهانة والإذلال... أو نحو ذلك[19].

الأثر الصحي للسُخْريَّة والاسْتِهْزَاءُ:

(الاضرابات النفسية – تأخير وتعطيل في نمو وتطوير الدماغ البشري – الاكتئاب).

أكدت الدارسات والأبحاث مدى التأثير السلبي المدمر للعنف اللفظي، ومنها دراسة أعدتها جامعة فلوريدا في الولايات الأمريكية المتحدة، والتي وجدت أن العنف اللفظي

يترك آثاراً وأضـراراً نفسية أكبر من الأضـرار الناجمة عن العنف الجسدي، حيث إن الأشخاص الذين تعرضوا لأي نوع من أنواع الإهانة أو السخرية خلال مرحلة طفولتهم يصابون بالاكتئاب والأمراض النفسية بنحو ضعفي أولئك الذين لم يتعرضوا له .

هذا وذهبت الأبحاث الحديثة أبعد من ذلك .. فقد بينت أن العنف اللفظي يترك آثاراً أكبر بكثير مما كان يعتقد سابقاً، فهو يؤدي إلى ضرر دائم في تركيب ونمو وتطور الدماغ البشري، فالعقل البشري يختلف عن غيره في أنه يتكون وينمو ويتطور بعد الولادة، أما تكوين الشخصية والقدرات الإدراكية والمهارات، فإنها تأخذ عقوداً للتطور وهذا التطور والنمو وتشكيل العقل يختلف من شخص لآخر باختلاف البيئة المحيطة، وطريقة التربية والتجارب التي يمر بها العقل أثناء مرحلة الطفولة، وعندما تكون البيئة عدوانية وغير صحيحة يتأخر نمو الدماغ، ويتعطل.. حيث أكد باحثون من جامعة هارفارد الأمريكية، أن العنف اللفظي والنفسي يؤدي إلى أضرر دائمة في طريقة تكوين الدماغ تبقى مدى الحياة.

ويقول الدكتور: ماجد عبدالنصير[20] أستاذ المخ والأعصاب بجامعة القاهرة: إن العنف اللفظي له تأثير مباشر على قدرات الدماغ وطريقة عمله، حيث وجدت الدراسات أن دماغ الأشخاص الذين عانوا من العنف اللفظي يحتوي على نسبة أقل من المادة الرمادية التي يعتقد أن لها علاقة وطيدة بمستوى الذكاء والقدرة على التحليل والتفكير المعقد، بل يحدث تخلفاً في تطور الاتصال بين الفصين الأيمن والأيسر من الدماغ عند الأشخاص الذين عانوا من الإساءة والإهانة والسَبِّ .. مما يجعل أولئك الأشخاص الذين تعرضوا لأذى لفظي.. يعانون من التوتر والاكتئاب والغضب والعداء، والإدمان، في مرحلة مبكرة من أعمارهم[21] .

وانطلاقاً من تلك الدراسات يتضح لنا أن الأفراد المصابين باضطرابات نفسية حادة هم ضحايا الإيذاء المعنوي من المحيطين بهم، أو من الغرباء، وذلك باتباع الأساليب التي تسبب لهم ألماً نفسياً كالسخرية منهم أو إهمالهم أو نبذهم، أو تهديدهم، أو تخويفهم،أو توجيه العبارات الجارحة لهم ،أو معاملتهم معاملة سيئة، أو التفرقة بينهم وبين إخوانهم مثلاً، أو حرمانهم من العطف، والمحبة والحنان، إلى غير ذلك من الأعمال التي تتسبب في الأذى النفسي للمرء كنتيجة لها[22] .

فالإيذاء اللفظي تمتد آثاره إلى أبعد من نشوء العقد اللفظية والتي تتطور، وتتفاقم

إلى حالات مرضية عضوية ناهيك عن حالات الاكتئاب وتدهور المهارة الذهنية، وتدني مستوى الذكاء للشخص المُعتدى عليه لفظياً وتصبح شخصية محطمة مهيأة للإنحراف والإجرام[23] .

حكم السُخْريَّة والاسْتِهْزَاءُ :

لقد حرَّمت الشريعة الإسلامية كل قول أو فعل أو غير ذلك فيه استهزاء وسخرية وجعلت في ذلك الإثم لمن يفعله ويدل على ذلك ما يلي:

ا) الكتاب:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [24]

وجه الدلالة :

تشتمل الآية على محظورات يجب على المسلم اجتنابها وأهمها السخرية والاستهزاء لعل المسخور منه يكون أفضل عند الله تعالى من الساخر مع نفسه في تجريح من هو أفضل منه عند الله فإن لم يبتعد عن مثل هذه الأفعال يعد ظالماً والظلم حرام بكل أشكاله[25] .

ب - السنة النبوية :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم))[26] وعن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))[27] وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال ((ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء...))[28]

وجه الدلالة :

يبدو واضحاً في الأحاديث السابقة أن من صفات المسلمين التي تدل على حقيقة الإسلام وتحققه في المسلم البعد عن ظلم المسلم وخذلانه واحتقاره أو لعنه وسبِّه أو الكلام بقول سيء إذ كل ذلك ينافي كمال الإيمان ويعرض صاحبه للذم والإثم.

● **المبحثُ الثاني: الترويع وأثره الصحي، وحكمه في الفقه الإسلامي.**

ب - الترويع:

الترويع لغة:

الرَّوعُ والرِّواع والتَّرَوُّع: الفَزَعُ، راعني الأمر يَرُوعني رَوْعاً، عن ابن الأعرابي، كذلك حكاه بغير همز، إن شئت همزت، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه: إذا شمط الإنسان في عارضيه فذلك الرَوَّع، كأنه الإنذار بالموت، وقال الليث: والروعة: الفَزَعة، قال الأزهري: وارتاع منه وله ورْوعته فتروع أي تفزع، ورعت فلاناً وروعته فارتاع أي أفزعته فَفَزِع[29] .

● **الترويع اصطلاحاً:**

يقصد به أعلى درجات الخوف[30]، وهو الإخافة والإفزاع والإرعاب، وبهذا يكون معنى الترويع: هو التخويف والإفزاع الشديد[31].

● **صورة الترويع :**

سواء كان ذلك بأقوال مفزعة أو أصوات مرعبة ،أو إشهار السلاح أو غير ذلك مما يخيف الآخرين ويفزعهم.

● **الأثر الصحي للترويع:**

(تختر الدم – الجلطات الدماغية والقلبية – الآثار السلبية على الجهاز العصبي - مرض القلب - ارتفاع ضغط الدم) .

إن للترويع آثاراً صحية خطيرة على الإنسان، وقد يلقى ذلك المُرَوَّع حتفه جراء الترويع؛ لما في الترويع من فزع وقلق..

فقد نشر أواخر سنة 2015م في المجلة الطبية البريطانية[32] دراسة علمية تتعلق بالآثار الصحية التي تخلفها مشاهدة أفلام الرعب، فتوصلت هذه الدراسة إلى أن مشاهدة أفلام الرعب تؤدي لزيادة تختر الدم، مما يؤدي للإصابة بالجلطات القلبية ؛ فأثناء الخوف الشديد يقوم الجسم بإفراز مواد تؤدي لزيادة تختر الدم، حيث يهيئ الجسم نفسه للمخاطر التي قد تؤدي لإصابته ونزف الدم منه، فيقوم الجسم برد فعل تلقائي لإيقاف هذا النزيف المحتمل ..

ومن هذا يحذر الأطباء اليوم من خطورة تكرار مشاهدة مناظر العنف أو الخوف أو الرعب ...فكل ذلك يترك آثاراً صحية سلبية على الجهاز العصبي، وكذلك يؤثر على دورة الدم، وسلامة القلب، ويزيد من تختر الدم واحتمال تشكل جلطات قد تؤدي لأمراض خطيرة تنتهي بالموت[33] ...

وأكدت هذه الدراسة إلى أن مشاهدة أفلام الرعب تجعل قلب الإنسان أقل استقراراً، وترفع ضغط الدم، وقد تسبب بإصابته بجلطات دماغية، وهو ما يفسر التأثير الكارثي لها بسبب طبيعة أحداثها السريعة والمتغيرة ومؤثراتها السمعية والبصرية القوية، وأصوات الضجيج المُروعة التي تحدثها .

وتوصلت الدراسة التي صدرت من جامعة لندن، ونشرت في دورية «الدورة الدموية» إلى أن الأفلام الأكثر إثارة تزيد من الخطر عن الأشخاص الذين يعانون من ضعف القلب..

وقام الباحثون برصد التغيرات التي طرأت على تسعة عشر شخصاً يعانون من مشاكل في القلب باستخدام أقطاب كهربائية وضِعت في بطيني القلب أثناء مشاهدتهم لفيلم مثير.

وقد أظهرت نتائج التجربة تأثير مشاهد الفيلم على إيقاع القلب الذي زادت ضرباته ما جعله أقل استقراراً .. بالإضافة إلى سرعة التنفس ما يفسر تأثير الإجهاد العقلي والعاطفي على قلب الإنسان .

وعلى الرغم من أن النتائج اختلفت من شخص لآخر إلا أن الباحثين لا حظوا استمرار التغيرات في عضلة القلب بحكم التأثير على الجهاز العصبي اللاإرادي؛ بسبب تأثير المشاهدة[34] .

● **حكم الترويع :**

إن ترويع الآخرين أمر فيه إيذاء للغير وإضراره، فلذلك حرمته الشريعة وزجرت عن فعله في كثير من الآيات والأحاديث **أذكر منها :**

١ - الكتاب:

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[35]

● **وجه الدلالة :**

في الآية بيان على أن أذية المؤمنين والمؤمنات تكون أيضاً بالأقوال والأفعال، أو شيء يثقل عليه ّإذا سمعه؛ لأن أذاه في الجملة حرام وعليه إثم ؛ لأنه معصية.. ومن الإيذاء الترويع فهو أمر منهي عنه أيضاً؛ لأنه داخل ضمن الإيذاء[36].

ب - السنة النبوية:

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: (حدثنا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله في مسير فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم، فقال رسول الله ﷺ ما يضحككم ؟ فقالوا: لا إلا إنّا أخذنا نبل هذا ففزع فقال رسول الله ﷺ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً).[37]

● **وجه الدلالة :**

يدل على حرمة ترويع المسلم ولو كان على جهة المزاح ؛ لما فيه من إيذاء وإيلام للمسلم[38].

● **المبحث الثالث: السَّبُّ والشَّتْم وأثرهما الصحي، وحكمه في الفقه الإسلامي.**

السَّبُّ والشَّتْم:

السَّبُّ في اللغة:

مصدر سبَّ يَسبُّهُ سباً والأصل في السبِّ عند بعض أهل اللغة: القطع، نقول: سبَّ الشيء: قطعة، وسبَّ الدابة: عقرها[39]، والسبِّ: الشَّتم[40] ولا قطيعة أقطع من الشَّتمِ[41] والسبَّةُ: العار[42].

السَّبُّ في الاصطلاح:

السَّبُّ في الاصطلاح: كل كلام قبيح يشافه به الغير يقصد منه الانتقاص والاستخفاف والإغاظة حتى وإن كان ذلك القول يطابق الواقع أو قاله بانفعال أو مزاح، فكل طعن ولعن يرمي به بريئاً فهو سبٌّ[43].

● **الشَّتْم في اللغة :**

مصدر شَتَمَ يَشْتُم شَتْماً، والاسم الشَّتيمة والشَّتمُ: السَّبُّ، يقال شَتَمَهُ وشَاتمَهُ: سَبَّه[44]، والشَّتْم: القبيح والكريه والبغيض، يقال الأسد الشَتِيمُ: الكريه الوجه وكلام شَتِيمٌ: كلام كريه قبيح، رجل شَتِيمٌ: قَبِيحٌ الوجه[45].

● **الشَّتْم في الاصطلاح:**

تقبيح أمر المشتوم بالقول[46].

● **الفرق بين السَّبُّ والشَّتْم:**

انقسم أهل اللغة في التفريق وعدمه بين السَّبُّ والشَّتْم إلى فريقين، منهم من قال: إن السَبَّ والشَتَّم بمعنى واحد، وذهب آخرون إلى أن للسِّب معنى مغايراً عن الشِّتم، فعرَّفوا الشَّتم كما سبق تعريفه بينما السبُّ عرَّفوه بأنه هو الإطناب في الشَتِّم والإطالة فيه[47] .

● **صور السَّبُّ والشَّتْم :**

ويشمل كثيراً من الصور سواء أكانت قولية أم فعلية أم إشارات وغير ذلك فقالوا إن السِّبابَ والشَّتَائِمَ صوره متعددة تُؤْذي نفس المرء وفؤاده، وتهز كيانه واعتباره.. فضلاً على أن تحديد كلمات السِّباب والشَّتائم لا يمكن تحديدها بل يمكن الرجوع فيها إلى العرف ؛ من كونها سباً أم لا فما عدَّهُ أهل العرف سباً أو انتقاصاً أو عيباً أو طعناً أو إهانة أو استهزاءً ونحو ذلك فهو من السَبِّ وإلا فلا فلذلك نجد للسَبِّ والشتائم صور متعددة أذكر منها الآتي:

أ - السَّبُّ والشَّتْمُ الواقع على الشخص:

كمن يرمي آخر بالخداع أو المكر والنفاق والزندقة ووصفه بالخبث والدعاء عليه أو وصفه بالجهل وسوء الفهم والحقد الدفين في قلبه ورميه بقلة عقله .. أو غير ذلك[48].

ب - السَّبُّ والشَّتْمُ الواقع على عرض الشخص:

وهو ما يلحق بالرمي بغير الزنا، مثاله كمن يسب آخر في عورة أمه أو زوجه أو أخته.. إلخ، أو رميه بكلمات قبيحة تخدش الشرف أو تهتك العرض مالم يصل القذف[49].

ج - السَّبُّ والشَّتْمُ الواقع على سمعة الشخص:

وذلك بأن يشتهر عنه بأنه مفتري أو كاذب وأنه مشهور عنه النصب والغش أو غير ذلك أو يشهر عن عائلته أيضاً عائلة ظالمة أو لا تخشى الله تعالى أو غيرها من الافتراءات والأكاذيب[50].

د - السَّبُّ والشَّتْمُ الواقع على مكانة الشخص واعتباره :

وذلك بشتمه بقلة قدرته على العمل أو قلة أمانته أو كفاءته فيقلل ذلك من شأنه ومكانته بين الناس وخاصة في مكان عمله أو يسخر من أقواله أو يستهزأ من أفعاله أو غير ذلك[51].

● **الأثر الصحي للسَّبُّ:**

(التأثير على الجهاز العصبي بشكل سلبي - ارتفاع مستوى التعرق والمؤشرات الفيزيولوجية – الاضطرابات النفسية)

يرتبط استخدام الشتائم أو السَّبُّ واللعن بشخصية الفرد، ليعبر عن غضبه أو احباطه، أو استيائه أو شيء آخر .

حيث إن الدراسات النفسية والعصبية وجدت أن الأجزاء المرتبطة بالتفاعل مع ألفاظ السبِّ في الدماغ تتفاعل بشكل نشط في النواة العصبية اللوزية [52]كما أن تفاعل الذاكرة مع الشتائم، أو الكلمات العنيفة وتلك التي تعمل دلالات سلبية، تُفَعّل الجزء العصبي المسؤول عن المشاعر، وتنشط المشاعر السلبية التي تؤدي بدورها إلى ردود أفعال مختلفة تصل إلى حد العنف الجسدي والتشابك ،وحتى إلى القتل في الحالات المتطرفة، كما تؤكد الدلائل استمرار الأذى النفسي المصاحب للسَبِّ والشتائم على الرغم من انتهاء الموقف الذي أدى إلى السِبَاب.. وأكد العلماء أن استخدام الشتائم يؤثر على الجهاز العصبي بشكل سلبي، حيث يشكل ضغطاً عصبياً على مراكز الوعي والإدراك؛ لارتباط الشتائم بالمشاعر السلبية، كما أثبتت الدراسات بشكل قاطع ارتفاع مستوى العرق والمؤشرات الفيزيولوجية المختلفة عن التلفظ أو عند سماعها وعلى الرغم من المحاولات المستميتة من قبل العلماء لفهم تأثير سماع الشتائم، أو التلفظ بها على المخ ووظائفه ما زالت

مستمرة .. فقد توصلت الدراسات المتتالية على أطفال تلقوا مكالمات هاتفية تحتوي على تلك الألفاظ العنيفة والنابية .. إن هؤلاء الأطفال عانوا فيما بعد من أعراض واضطرابات نفسية مختلفة مع استمرار الاختلاف حول دور تلك المكالمات بشكل منفرد في التسبب بتلك الآثار النفسية السلبية، ولكن يظل المؤكد أن استخدام تلك الألفاظ يستدعي نشاطاً ملحوظاً في النواة اللوزية التي سبق الإشارة إليها، مما يتبث التأثير السيئ لهما، كما تثبت الدلائل استمرار الأذى الفعلي والنفسي المصاحب للشتائم على الرغم من انتهاء الموقف الذي تم ذكرها فيه .

وفي نفس السياق قام الدكتور: - جيفري بويرز[53]، والدكتور كريستوفر بليديل[54] - باحثين بجامعة - بريستول للدراسات والاختبارات النفسية - بعمل تجربة باستخدام عدة أشخاص وثلاث قوائم مختلفة من الكلمات: واحدة بها كلمات شتائم مباشرة، وأخرى بها وصف تلك الكلمات، وثالثة بعدة كلمات ليس لها علاقة بالشتائم، فقد وجدوا أن الأشخاص قد تفاعلوا بشكل جدي عند قراءة الشتائم بشكلها الصريح المباشر عن تلك القائمة المحتوية على وصفها، مما يؤكد التأثير العصبي الفعلي لتلك الكلمات بشكل سلبي على مخ الإنسان[55].

● **حكم السَّبُّ والشُّتْم :**

لقد نهت شريعتنا الغراء عن شتى أنواع السِّباب والشَّتائم وما يلحق بهما أو يدخل ضمنهما مما يتأذى منه المسلم نهياً يفيد التحريم ورتبت الإثم على فاعله وأهم ما يدل على ذلك ما يلي:

أ - الكتاب :

يقول الله تعالى: ﴿ لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيما﴾[56]

● **وجه الدلالة :**

بيَّنت الآية السابقة أنه لا يحب أن يجهر أحد بقول السوء إلا في حال الظلم فإنه يباح للمظلوم أن يذكر ظلمه بما فيه من سوء ليبين مظلمته فالإعلان عن القول السيئ في غير

هذه الحالة يكرهه الله تعالى ومن أسوأ الأقوال وأشنعها السَّبُ والشَّتمُ لما فيه من إيذاء المسلمين وإذا ما كره الله أمراً دلَّ ذلك على تحريمه وضرورة اجتنابه [57].

ب - السنة النبوية :

عن ابن عمر رضى الله عنهم قال: قال رسول الله ﷺ ((سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)) [58]، وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ)) إن أربى[59] الربا استطالة المرء[60] في عرض أخية المسلم))[61]

● وجه الدلالة:

الحديث واضح الدلالة على أن سِبَابَ المسلم يُعَدُّ فسوقاً ينافي كمال الإيمان، ويُعَرِّضُ صاحبه لبغض الله وسخطه فهو دليل جلي على النهي عن السِّبَابَ وفي الحديث الثاني أيضاً دلالة واضحة على أن الشَتَّمَ في العرض والتكلم فيه أشد خطراً من الربا فهو أرباها وأعلاها .

■ الخلاصة :

إن هذه الصور غير محصورة في صور الإيذاء المعنوي السابق ذكرها .. بل بعض منها، فكل ما يترتب عليه إيذاء معنوي .. من موقف أو كلمة من الشتيمة والتحقير والعنف اللفظي والتهميش والاضطهاد والتمييز والظلم والترهيب والازدراء وحرمان المرء من حقوقه الأساسية ..كلها تصرفات تنطوي على جريمة معنوية.

● عقوبة الإيذاء المعنوي:

بعد عرض تعريف الإيذاء المعنوي وصور منه، فقد وجدنا في هذه الجرائم من الإيذاء ما فيها بحيث إنه قد لا يقتصر هذا الإيذاء على الإيذاء المعنوي مع عظم شأنه فقد يمتد هذا الأثر إلى أضرار صحية خطيرة.. تارة تكون نفسية، وأخرى عضوية .. فهذه الجرائم توقع نفس الضرر الذي تحدثه الجريمة المادية، فلذلك لا بد من وضع حدٍّ لمثل هذه الجرائم ويتمثل ذلك في وضع عقوبة رادعة تردع وتؤدب الجاني ؛ لمنعه من فعله ولمنع غيره من مثل هذه الجرائم .. لم يضع لها الشارع حدوداً.. بل وضع لها عقوبات تعزيرية يحددها ويختارها القاضي بما يراه مناسباً لحال الجاني وفعله الضار مراعياً القواعد الشرعية العامة ومصلحة المجتمع والنظام العام .

وهذه العقوبات قد تنصب على البدن كالضرب ونحوه ...، وقد تكون مقيدة للحرية بالحبس أو النفي وما شابههما، وقد تصيب المال كالحَجَرِ عليه أو مصادرته أو غير ذلك، وقد تكون ألماً واقعاً على النفس كالتوبيخ أو التشهير أو غير ذلك كثير وهي بما تُعْرَفُ بالعقوبة التعزيرية[62] ممَّا يَهْدُفُ إلى تأذيب وزَجر الجاني حتى لا يُعَاوَد الفعل مرة أخرى.

● **الحكم التكليفي للتعزير :**

اتفق الفقهاء على أن الأصل في التعزير أنه مشروع في كل معصية ليس فيها حَدٌّ بحسب الجناية في العِظَمِ والصِغَرِ وحسب الجناية في الشَّرِ وعَدَمِهِ[63] .

● **وأدلة ذلك كثيرة أذكر منها :**

أ - الكتاب :

ففي قوله تعالى: ﴿وَالـلاَّتِـي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾[64]

وجه الدلالة:

الشاهد في الآية الكريمة أن الله تعالى أباح للرجال تأذيب الزوجة إذا نشزت بعدة وسائل منها الوعظ، أو الهجر أو الضرب، وما ذلك إلا نوع من التعزير .

ب - السنة :

فعن أبي بردة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله)[65].

● **وجه الدلالة :**

في الحديث دليل على مشروعية التعزير بالضرب في أقل من عشرة أسواط دون جرائم الحدود، وهذا لا يكون إلا من باب التعزير .

ج - الأثر :

ما رواه البيهقي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال في الرجل يقول للرجل: يا مخنث

يا فاسق: ليس عليه حَدٌّ معلوم يعزره الوالي ما رأى[66].

● **وجه الدلالة :**

في الأثر دليل واضح على أن التعزير مشروع في ما لم يرد بصدده عقوبة مقدرة فأمره موكل للقاضي يعزره.

د - الإجماع :

فقد أجمعت الأمة على مشروعية التعزير في كل معصية ليس فيها حَدٌّ[67] .

■ الخاتمة :

أهم النتائج التي توصلت لها وهي على النحو الآتي :

1 - إن الجرائم المعنوية يمكن تعريفها بأنها هي الجريمة التي يستعمل فيها أداة غير محسوسة ولكن يمكن فيها الإيذاء ويتوفر فيها الجاني والمجني عليه .

2 - لا تختلف الجرائم المعنوية عن غيرها من الجرائم من حيث اعتبارها جريمة نظراً للتقارب الشديد بين الآثار المترتبة على كليهما وإنما الخلاف بينهما يكمن في أداة الجريمة .

3 - إن الايذاء المعنوي يُخلف آثاراً صحية خطيرة..بعضها نفسية، وأخرى عضوية.

4 - الشريعة الإسلامية لم تحدد للإيذاء المعنوي عقوبة حَدِّية، بل جعلت عقوبته تعزيرية يحددها ويختارها القاضي بما يراه مناسباً .

■ التوصيات :

يوصي الباحث بالآتي:

بعد البحث والنظر في المسائل التي كتبت حول الإيذاء وما يشكله من مخاطر وآثار صحية خطيرة .. فإن الباحث يوصي بالآتي:

1 - بناءً على ماسبق، وللأهمية أوصي من يطالع هذا البحث المتواضع ..من أساتذة الجامعات والمتابعين وطلاب الدراسات العليا القيام بدراسة أكاديمية تُفَصِّل هذا الموضوع.

2 - على الجهات التشريعية سنَّ قانون بموجبه إنزال العقوبة التعزيرية على من يرتكب جرم الإيذاء المعنوي وفقاً لأحكام التشريع الإسلامي .

■ **الهوامش:**

1 - الأحزاب، الآية :58.

2 - معلومات عن التأثير الصحي :مؤرشف من الأصل في 25 أكتوبر 2020م .academic.microsoft.com.

3 - العنف والظلم الاجتماعي وآثاره على الأسرة والمجتمع، حمزة القواسمي hamzaah92gwqsmi@gmail.com

4 - مجلة الوطن، مقال: كمال فرج، العدد (300) السنة: 1999م.

5 - التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تح: عبدالحميد حمدان، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط1، 1990م، باب: الميم، فصل العين، 667/1 .

6 - تبيين الحقائق، بشرح كنز الرقائق، فخر الدين الزيعلي الحنفي، دار الكتب الإسلامية، القاهرة - مصر، د.ظ، 1313هـ ،207/3.

7 - لسان العرب، لأبي الفضل بن منظور، دار صادر، بيروت - لبنان، ط1، 1990م ،ج1 ،ص:35 مادة: أثر.

8 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبدالسلام محمد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط2 1999م، ج1 ،ص:53، مادة :أثر .

9 - المصباح المنير للفيومي في غريب الشرح الكبير،الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان ،د .ط د.ت، ص:3

10 - لسان العرب، ابن منظور، حرف الراء، مادة: الشتم ،352/4.

11 - الحجرات: الآية 11.

12 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب: السين، باب: السين والخاء، وما يثلثهما، 144/3.

13 - التوقيف على التعاريف، للمناوي، باب السين، فصل: الخاء، ص:400.

14 - الكليات أبوالبقاء الكفوي، مؤسسة الراسلة، بيروت - لبنان، ط2، 1998م.

15 - لسان العرب، ابن منظور، حرف الألف، مادة: هذا ،85/3 - 86.

16 - معجم الفروق اللغوية، أبو الهلال العسكري، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط:1991 ;9م.

17 - البقرة: الآية 231.

18 – الفروق في اللغة، للعسكري، 50/1.

19 – المفصل في أحكام الهجرة، على بن نايف الشحود، د.ط، د.ت، 47/4.

20 – ماجد عبدالنصير: هو: أستاذ المخ والأعصاب بمحافظة القاهرة ـ رئيس قسم المخ والأعصاب بكلية الطب في القصر العيني، ورئيس الجمعية المصرية للمخ والأعصاب، مصري الجنسية. https//m.elwahhews.com

21 – العنف اللفظي يفوق الجسدي في الإيذاء، مجلة العرب، القاهرة . مصر ،20 – 2 – 2016م https//alarab.com.4k.

22 – مجلة المحطة، مى المغربي، هل للعنف علاقة بالمرض النفسي، 16أكتوبر، 2018م، 1/278 elmntta.com.

23 – العنف الأسري، منى يونس بحري، نازك عبدالحليم، دار الصفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط ح، 2015 – 1 – 1 ص:20 .

24 – الحجرات: الآية 11.

25 – جامع البيان عن تأويل اية القرآن، لأبي جعفر الطبري، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 2000م11/389.

26 – صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 2000م، كتاب: البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم،ح:2564.

27 – صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن المغيرة، دار افيمان، المنصورة ـ مصر، ط1، 1426هـ، كتاب: الايمان، باب: المسلم من سلم، ج:10.

28 – سنن الترمذي، محمد بن عيسي الترمذي، تح: محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط، د. ت ،كتاب: البر والصلة ،باب: اللعنة، رقم الحديث: 1977، صححه الألباني.

29 – لسان العرب ابن منظور، مادة: روع، ص367.

30 – الأدوار والمسؤوليات والمداخل المهنية لمواجهة العنف الأسري، رشاد أحمد، الرياض (المملكة العربية السعودية) ط1، 2005م، ص:4.

31 – موقع المحيط، نادية رضـوان، 22 – 4 – 2020م، https\\www.almqheet. net\94179..

32 – المجلة البريطانية http://www.bmi.com/conteht/351/bmi.h6367 .bloodc4rdlihgmovies and measures of coaguiation:feartrial

33 – أسرار الإعجاز العلمي: مشاهد الرعب تدمر القلوب، عبدالدائم الكحيل، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي: https\\kahee17.not .

34 – مجلة المدينة: أفلام الرعب تؤذي القلب، الأربعاء: 121آيار، مايو، 2014م، 10 :14مساء.

35 – الأحزاب، الآية: 58.

36 – الجامع لأحكام القرآن، أبوعبدالله القرطبي، تح: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط1، 2006م، ج:14، ص240.

37 – سنن أبي داوود، سليمان ابن الأشعث الأزدي، تح: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط 1 2009 م، كتاب: الأدب، باب: من يأخذ الشيء عن المزاح، رقم الحديث: 5004.

38 – الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 240/14.

39 – مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب: السين، باب: السين، والباء ومايثلثهما، 63/3.

40 – لسان العرب ابن منظور، حرف الباء، مادة: سبة 455/1.

41 – المصباح المنير، للفيومي، كتاب: السين، مادة: سبة262/1.

42 – حاشية الدوسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفة الدسوقي، تح: محمد عليش، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، د.ط، د.ت، 309/4.

43 – لسان العرب، ابن منظور، حرف الميم، مادة: الشتم ،318/12.

44 – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، كتاب: الشين والتاء ومايثلثهما، 63/3.

45 – الفروق اللغوية، العسكري، 294/1.

46 – نفس المصدر: 294/1.

47 – نظرية الضمان أو أحكام المسؤولية المدنية والجناية في الفقه الإسلامي، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق ـ سوريا، ط1، 2018م، ص:53.

48 – نفس المصدر، ص:53.

49 – جلة الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة www.ahalhadeeth.com .

50 – التفسير الميسر، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية ط1، 2009م، 146/2.

51 – صحيح البخاري، كتاب: الفتن باب: قول النبي: لا ترجعوا بعدي كفاراً.، رقم الحديث: 6665.

52 – النواة اللوزية: هي جزء من الدماغ تقع داخل الفص الصدغي من المخ أمام الحصين، تشارك في إدراك وتقييم العواطف والمدارك الحسية والاستجابة السلوكية المرتبطة بالخوف والقلق، وهي تراقب باستمرار ورود أي استشارات خطر من حواس الاسنان تعد كنظام إنذار واستشعار للمتعة. – المعجم الطبي الموحد، تاريخ الولوج: 18 مايو 2017 نسخة محفوظة 7 يناير

2018م. على موقع باك مشين https//arom.wikipedia.org .

53 – جيفيري بوبرز: الدكتور جيفيري بويرز.. أستاذ جامعي وباحث بجامعة بريستول للدراسات والاختبارات النفسية بريطانيا– مجلة الديار العلمية: كانون الأول: 2015م. 4.09.44.

54 – كريستوفربليديل: أستاذ جامعي وباحث بجامعة بريستول للدراسات والاختبارات النفسية بريطانيا – المجلة العلمية: عرب: 20 – 12 – 2015م.

55 – مجلة الديار العلمية :: كيف تؤثر الشتائم على صحتك النفسية، كانون الأول2015م، Khttps\\www.arab48.com 4.90.44.

56 – النساء: الآية: 148.

75 – التفسير الميسر، نخبة من العلماء تحت إشراف الدكتور عبدالله التركي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط1، 2009م. 146/2.

58 – صحيح البخاري، كتاب: الفتن باب: قول النبي: لا ترجعوا بعدي كفاراً.، رقم الحديث: 6665.

59 – أربى الربا: أي أكثره وبالاً وأشده تحريماً، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود، محمد شمس الدين الحق، تح: أبوعبدالله الأثري، دار ابن حريم، ط1، 2005م، 152/13.

60 – استطالة المرء: الاستطالة هي: إطالة اللسان، والاستطالة في عرضه: أن له فيه، ولذلك مثله بالرباء، وعده من عداده فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، ط ح، 1971م، 66/4.

61 – صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصرالدين الألباني، ط 1، 2000 م، (كتاب: البيوع، باب: الترغيب في الاكتساب، رقم الحديث: 1857 .

62 – تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، الزيعلي، 207/3 .

63 – تبيين الحقائق، الزيعلي، 207/3.

64 – النساء: الآية: 60/34.

65 – إرواء الغليل في تخريج أحاديث من السبيل، محمد ناصر الدين الالباني، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط ح، 1985م.، 476/1،ح: 2396، وقال عنه: حديث صحيح متفق عليه.

66 – السنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة 67– المملكة العربية السعودية، د.ط، 1994م.، كتاب: الحدود، باب: ماجاء في الشتم دون القدف، قال عنه الالباني: حديث حسن.

68 – الطرق الحكمية، محمد ابن القيم الجوزية، مكتبة دار البيان، د.ط، د.ت، 154/1.